نصيحة حول الزلازل (*)

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهداه ، أما بعد :

فإن الله سبحانه وتعالى حكيم عليم فيما يقضيه ويقدره ، كما أنه حكيم عليم فيما شرعه وأمر به وهو سبحانه يخلق ما يشاء من الآيات ، ويقدرها تخويفاً لعباده وتذكيراً لهم بما يجب عليهم من حقه وتحذيراً لهم من الشرك به ومخالفة أمره وارتكاب نهيه كما قال الله سبحانه : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ (١) وقال عز وجل : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ (٣) الآية .

وروى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : لما نزل قول الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ ﴾ قال رسول الله ﷺ : « **أعوذ بوجهك** » قال : ﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قال : « **أعوذ بوجهك** » (٤).

(*) نشرت في الصحف المحلية في ١٤١٦/٧/١٣هـ منها : الرياض ـ والجزيرة ـ والمدينة ـ وعكاظ .

(١) سورة الإسراء ، الآية ٥٩ .

(٢) سورة فصلت ، الآية ٥٣ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية ٦٥ .

(٤) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن برقم ٤٢٦٢ ، ورواه الترمذي في تفسير القرآن برقم ٢٩٩١ .

وروى أبو الشيخ الأصبهاني عن مجاهد في تفسير هذه الآية : ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال : الصيحة والحجارة والريح . ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال : الرجفة والخسف . ولا شك أن ما حصل من الزلازل في هذه الأيام في جهات كثيرة هو من جملة الآيات التي يخوف الله بها سبحانه عباده . وكل ما يحدث في الوجود من الزلازل وغيرها مما يضر العباد ويسبب لهم أنواعاً من الأذى، كله بأسباب الشرك والمعاصي ، كما قال الله عز وجل : ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [1] . وقال تعالى : ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [2] ، وقال تعالى عن الأمم الماضية : ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [3] .

فالواجب على جميع المكلفين من المسلمين وغيرهم ، التوبة إلى الله سبحانه ، والاستقامة على دينه ، والحذر من كل ما نهى عنه من الشرك والمعاصي ، حتى تحصل لهم العافية والنجاة في الدنيا والآخرة من جميع الشرور ، وحتى يدفع الله عنهم كل بلاء ، ويمنحهم كل خير

---

(١) سورة الشورى ، الآية ٣٠ .

(٢) سورة النساء ، الآية ٧٩ .

(٣) سورة العنبكوت ، الآية ٤٠ .

كما قال سبحانه : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١) وقال تعالى في أهل الكتاب : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٣) .

وقال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ ما نصه : (وقد يأذن الله سبحانه للأرض في بعض الأحيان بالتنفس فتحدث فيها الزلازل العظام ، فيحدث من ذلك لعباده الخوف والخشية ، والإنابة والإقلاع عن المعاصي والتضرع إلى الله سبحانه ، والندم كما قال بعض السلف ، وقد زلزلت الأرض : (إن ربكم يستعتبكم) . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد زلزلت المدينة ، فخطبهم ووعظهم ، وقال : (لئن عادت لا أساكنكم فيها) انتهى كلامه رحمه الله .

والآثار في هذا المقام عن السلف كثيرة .

فالواجب عند الزلازل وغيرها من الآيات والكسوف والرياح الشديدة والفياضانات البدار بالتوبة إلى الله سبحانه ، والضراعة إليه وسؤاله

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ٩٦ .

(٢) سورة المائدة ، من الآية ٦٦ .

(٣) سورة الأعراف ، الآيات ٩٧ ـ ٩٩ .

العافية ، والإكثار من ذكره واستغفاره كما قال ﷺ عند الكسوف : « **فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله ، ودعائه واستغفاره** » [1] ويستحب أيضاً رحمة الفقراء والمساكين والصدقة عليهم لقول النبي ﷺ : « **ارحموا ترحموا** » [2] « **الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض ، يرحمكم من في السماء** » [3] وقوله ﷺ : « **من لا يرحم لا يرحم** » [4] . وروي عن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله أنه كان يكتب إلى أمرائه عند وجود الزلزلة أن يتصدقوا .

ومن أسباب العافية والسلامة من كل سوء ، مبادرة ولاة الأمور بالأخذ على أيدي السفهاء ، وإلزامهم بالحق وتحكيم شرع الله فيهم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال عز وجل : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [5] وقال عز وجل : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [6] وقال سبحانه :

---

(١) رواه البخاري في الجمعة برقم ٩٩٩ ، ومسلم في الكسوف برقم ١٥١٨ .
(٢) رواه أحمد في مسند المكثرين برقم ٦٢٥٥ .
(٣) رواه الترمذي في البر والصلة برقم ١٨٤٧ .
(٤) رواه البخاري في الأدب برقم ٥٥٣٨ ، ورواه الترمذي في البر والصلة برقم ١٨٣٤ .
(٥) سورة التوبة ، الآية ٧١ .
(٦) سورة الحج ، الآيتان ٤٠ ، ٤١ .

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [1] . والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وقال ﷺ : « **من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته** » [2] متفق على صحته .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه** » [3] رواه مسلم في صحيحه . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

والله المسؤول أن يصلح أحوال المسلمين جميعاً ، وأن يمنحهم الفقه في الدين وأن يمنحهم الاستقامة عليه ، والتوبة إلى الله من جميع الذنوب وأن يصلح ولاة أمر المسلمين جميعاً ، وأن ينصر بهم الحق ، وأن يخذل بهم الباطل ، وأن يوفقهم لتحكيم شريعة الله في عباده ، وأن يعيذهم وجميع المسلمين من مضلات الفتن ، ونزغات الشيطان إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

مفتي عام المملكة العربية السعودية
ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء
عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

---

(١) سورة الطلاق ، الآيتان ٢ ، ٣ .
(٢) رواه البخاري في المظالم والغصب برقم ٢٢٦٢ ، ومسلم في البر والصلة والأدب برقم ٤٦٧٧ واللفظ متفق عليه .
(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة برقم ٤٨٦٧ ، ورواه الترمذي في البر والصلة برقم ١٨٥٣ .